

النقد عند الفلاسفة المسلمين

النقد عند ابن رشد:

هو محمد بن أحمد ، المشهور بابن رشد، ولد سنة 520 هـ، 1126م بقرطبة ، توفي سنة 595هـ-1198م بمراكش. درس الفقه و الأصول و الرياضيات و الطب و الفلسفة و الفلسفة التي أبعد بسببها من قرطبة إلى المغرب، بعد أن عُذّب و نكل به بوصفه زنديقا ، و أحرقت كتبه.

عُرف ابن رشد في النقد الأدبي بفضل شروحاته لأرسطو و أفلاطون ، حيث تأثر بأرائهما في المحاكاة و الغرض منها.

لقد سوّى ابن رشد بين مصطلحات المحاكاة و التشبيه و التخيل ، حيث تدل هذه المصطلحات كلها على الكلام الذي يستخدم الصور البلاغية ، و ينبه ابن رشد الشاعر في هذا السياق إلى انه يتوجب عليه "أن يلزم في تخيلاته و محاكياته الأشياء التي جرت العادة باستعمالها في التشبيه و ألا يتعدى في ذلك طريقة الشعر" () و سيستغل ابن رشد مسألة التخيل هذه ليطور فكرة اللغة الشعرية التي استند عليها النقد المعاصر- و خاصة شعرية جون كوهين- لتمييز الشعر عن النثر في عصر تماهت فيه الحدود بين الشعر و النثر بعد سقوط معيار الوزن كفيصل بين الفئتين. لقد ميز ابن رشد -عبر المحاكاة- بين اللغة المؤثرة و اللغة البرهانية ، و أخرج من دائرة الشعر ذلك النوع من الشعر الذي يعتمد الإقناع ، يقول: " و ها هنا نوع آخر من الشعر ، هي الأشعار التي في باب التصديق و الإقناع أدخل منها في باب التخيل، و هي أقرب إلى المثالات الخطبية منها إلى المحاكاة الشعرية... و هو كثير في شعر أبي الطيب" () و يكون ابن رشد على هذا النحو من النقاد الذين وقفوا موقفا منطقيا من المنتبى و تأملوا نصه من الداخل.

و بالنسبة لموضوع المحاكاة عند ابن رشد فقد حصره -مثل أرسطو- في المديح و الهجاء فكل قول شعري هو " إما مديح و إما هجاء ، و بهذا تكون الأمور الإرادية الحسنة و القبيحة هي موضوع الشعر عنده ، حيث أن المديح يقوم على محاكاة الأفعال الإرادية الفاضلة ، أي محاكاة كل ما هو خير ، أما الهجاء فيعتمد على محاكاة الأفعال القبيحة أي كل ما هو شر ، و هذا دليل على أن الأفعال الإنسانية الممكنة خيرا كانت أو شرا هي موضوع المحاكاة الشعرية" () و سوف يفصل ابن رشد في طرق المحاكاة متمثلا بطريق أرسطو ، مستشهدا بأمثلة من الشعر العربي العباسي و الأندلسي ، محلا أخطاء المحاكاة التي يقع فيها الشعراء في بعض الأحيان .

و لا يخرج ابن رشد عن الإطار الأرسطي في تنظيره النقدي حول وظيفة الشعر ، و فطرة الناس في التلذذ بالمحاكاة " حيث الالتذاذ ليس يكون بذكر الشيء المقصود ذكره دون أن يحاكي ، بل إنما يكون الالتذاذ به و القبول له إذا حوكي ، و لذلك لا يلتذذ إنسان بالنظر إلى صور الأشياء الموجودة أنفسها ، و يلتذذ بمحاكاتها" () و يلح ابن رشد على أن تكون اللذة ذات "محتوى أخلاقي" . و بالإضافة إلى وظيفة اللذة تؤدي المحاكاة الشعرية وظيفة تعليمية خاصة بالنسبة للصغار فإذا ما كبروا استعمل في تعليمهم الأقاويل البرهانية، و لا ننسى الدور الأخلاقي للمحاكاة الشعرية ، فالأقاويل الشعرية لها تأثير مباشر على السلوك الإنساني لذا يتوجب أن تكون الغاية من المحاكاة الحث على الفضيلة و التنفير من الرذيلة .

يمكن القول في الأخير ، إن الفلاسفة الإسلاميين لم يبتدعوا في الواقع شيئا جديدا تماما في حقل النقد الأدبي ، بل استثمروا الإرث اليوناني و أعادوا تقديمه للقارئ العربي شارحين و معلقين ، و أحيانا مطبقين على الشعر العربي كما هو الحال مع ابن رشد .